الباب الاول

بعض ما قِيلَ وما كُتِبَ فيه

obeikandl.com

مقدمة عامة

« وان مات يتكلم بعد »

من الناس من يحيا على هذه الغبراء ، فتكون حياتُه الى الموت أقرب منها الى الحياة . اذ يقضي عمرَه في إحدى زوايا الانانيّة ، او قابعاً في بؤرة التنعم ، او راكعاً أمام تمثال المادة يبخر في هيكلها بكرة وعشيّاً ، فتلقي عليه الايام حجاب النسيان . فحياته او موته في نظر الناس سيّان . لا يشعر به مخلوق ان عاش ، ولا يبكيه أحد ، اذا هو طوى في ظلمة اللّحد . فليس بين البشر انسان يذكره في غده ، لأنه انكر الناس جميعاً في أمسه . فلم يسعد بينهم أحد في يوم رغده ولا شقي مخلوق في يوم بؤسه . يستوي عندهم اذا هو عاش بضعة أعوام او عمر دهراً ، فما كانت حياته سوى تمثال من جَمَد يذوب أمام شمس الحقيقة ، او كهيكل من الرمال ينهار عند لمسه

ذلك هو الحي الميت ، والميت الميت

ومن الناس من يعيش في هذه الدنيا عيشة راضية مرضية لدى الله والناس ، فيضيء ما حوله كما يضيء سهم من النور قلب ليل داجي الظلام ويترك وراءه آثاراً خالدة لا تمحوها كرُّ الايام ولا مر السنين . في كل مكان وطئته قدماه يترك أثراً جليلاً يتحدث بجميل ذكراه . وعلى كل قرطاس جرى عليه قلمه ، يسطر بالمداد رسماً لاحدى حكم الخلود ، او يسجل عبرة لحوادث الزمن . وفي قلب كل انسان عرفه أو عاشره ، يطبع صورة تزداد

قرباً من الفؤاد ، كلما طالت عليه ايام البعاد . قد لا يعيش الا وقتاً قصيراً ، لكن حياته تكون نيِّرة ، لان قوة نورها مستمدة من قصر عمره . كالشعة النور المتناهية القصر تحمل في أجنحتها حياة وشفاء . وقد لا يرتفع له صوت لكن صوته نافذ الى اعماق القلوب ، لان قوته في وداعته . وقد يحاول في حياته ان يختفي عن الناس ، لكن الافئدة تحتفي بشخصه ، بقدر سعيه هو الى الاختفاء . ذلك هو الحي الحي، والميت الحي « وان مات يتكلم بعد »

كدت بهذه الكلمات ان اذكر اسمه ، أو ان أبوح برسمه ، مع أني لم أقصد بهذه العبارات وصفاً لشخص معين ـ فكلها أوصاف عامة لذات معنوية . لكني أرى شخص صديقنا الراحل زكي عطية سوريال ، قد قفز ـ على غير عادته ـ من وراء حجاب المادة الدقيق الذي يفصل الاحياء الموتى عن الموتى الاحياء ، وتمثل أمامي . لان هذه الاوصاف قد لابسته ، ولست أعرف شخصاً أحق بها من زكي

ولقد فكر جماعة من آله واصدقائه ، كل منهم على انفراد ، في افضل وسيلة يحيون بها ذكراه ـ وذكراه لا تنسى ـ فجمعتهم هذه الفكرة مرات، فاتفقت كلمتهم في اجتماع خاص على ان خير وسيلة لبلوغ هذه الغاية النبيلة ، هي تلك التي تتمشى مع ميوله التي عرفت عنه مدة حياته . وتوافق مزاجه الذي انطوى عليه

كان بطبيعته يأنف الحفلات ، لذلك قد أبعدنا كل فكرة ترمي الى اقامة حفلة تأبين له أو رثاء . وكان زاهداً في الخطب التي تلقى في حفلات التكريم اعتقاداً منه انها تكون مطبوعة عادة بطابع التفخيم والمبالغة .

ولقد حيل بيننا و بين كل مناسبة عزمنا فيها أن نلقى كلمة وفاء ، لا كلمة رثاء ولعل روحه القوية قد قويت علينا ، فباعدت بيننا و بين ما كنا نبغي ونروم

فصحت عزيمة بعض آله ، ونفر من أصدقائه ، على ان نختفي كلنا من الميدان ، وان نفسح له المجال ليتكلم هو وحده دون سواه، بلسانه الناطق في رسائله ومقالاته وعظاته

وكانت قرينته الفاضلة — ونحن نأبى معها ان ندعوها « أرملة » لاننا نشاطرها الاعتقاد بأنه لم يزل بعد حياً ـ قد احتفظت بجانب غير يسير من مقالاته وعظاته ورسائله التي لم تنشر بعد ، و ببعض عظاته ومقالاته التي نشرت ، فتسلمناها منها ، وجعلناها جوهر هذا الكتاب ، من غير ان تمسها يد الشرح أو التنقيح ، لان كل كلمة تزاد عليها تنتقص من جمالها ، وكل تنقيح يمد اليها يذهب بروعتها وجلالها .

ولا يسعني الا ان اصرّح بالشعور الذي تملكني طوال المدة التي عكفت فيها على البحث في آثار قلمه ، فقد وجدت فيها لذة فكرية لا تعدلها لذة ، ونعيما روحياً رفعني الى محضر الرفيق الاعلى ، وأنا بعد في عالم المادة والجسد.

ولست اعتقد ان كارتر كان اسعد مني حظاً وهو ينقّب عن آثار توت عنخ امون . لان ذلك قد ظفر بآثار ذهبية قد يذهب بذهبها الزمن، لكن هذه الآثار التي أقدم بعضها لقارئي هذا الكتاب،لن يذهب بروعتها كرُّ الايام ولا مرُّ الاعوام. وهي أنقى من الذهب وأبهى من الجوهر ، وأصفى من الدر.

وكم من نواح خفية كُشفت لي في أثناء بحثي وتنقيبي . فقد اكتشفتُ زكى الكاتب المجيد باللغة الانجليزية ، فلا يبارى في جمال خطه ، ولا في

رقة أسلوبه ، ولا في دقة معانيه ، كما يتبين للقارىء فيما بعد . واكتشفت زكى صاحب الرسائل الروحية السامية التي لا تقل في جمالها وجلالها عن رسائل صموئيل روز فورد ، ولا تنقص في روعتها عن رسائل روبرت مري مكشين . واكتشفت زكى صاحب القلم المبدع الذي يصوغ الكلمات كما يصاغ الجوهر ، فلا افراط في تعبيره ولا تفريط . لا جمل في عباراته يصرف النظر عن قوة المعنى ، ولا عيب في كلماته ينتقص من جلال الفكر . فعذارى افكاره السامية قد ألبسهن حفلا ملائكية تسمو بها الى سماء المعاني

اما عظاته فكلها تتركز في شخص المسيح ، وتصرف الذهن عن عالم المادة الى عالم الروح ، ولقد وزع من غنى هذه العظات على مجلات كثيرة فكانت لها خير غناء ولقارئيها خير غذاء . ولقد استوقفتني ظاهرة خاصة في عظاته ومقالاته : ان قلمه الوديع الهادي كان قاسياً بعض القسوة ـ ولكن في مقام واحد ـ حين اتخذ موقف الزجر والتوبيخ للخطاة غير التائبين . لان حبه لهم ، وبغضه للشر ، قد خلع على قلمه اللطيف شيئاً من الحدة والقسوة. أليس من الضروري ان يكون الألماس قاسياً ليقوى على قطع ألواح الزجاج؟ وأن يكون نور الشمس قاسياً ليطهر العالم من الاقذار ويجفف مافيه من أوحال ؟ وأن يكون مشرط الطبيب حاداً ، ليقطع الزوائد ويزيل الادران؟ أليس اسم السيف صارماً ، ليقطع دابر جيوش الظلام ؟

وقد هالني التنوع العظيم الذي اشتملت عليه كتاباته وعظاته من رسائل معزية للمؤمنين، الى تحذيرات قوية لغير المؤمنين . من تفسير « نشيد الانشاد » الى شرح « مرامي نبوات دانيال » ، الى « النعمة القادرة على انالة الحياة

الطاهرة ، الى « حقائق مخفية » ، الى « سيف القضاء مرهف مستل » ، الى « رسالة من وراء القبر » ـ الى «وادي السوسن» الى « كيف تكون سعيداً ولو كنت متزوجاً » ، الى مقتطفات من « الاقتداء بالمسيح »

هذا جانب من جوانب عظمته الفذة التي انتشرت اضواؤها في كثير من الارجاء ، وانتثرت دررها في كثير من النواحي ، فادعته لنفسها جمعيات كثيرة ، وزهت بصداقته بيئات عديدة، وقد أقر لهذه الجمعيات كلها بالقربى التي ادعتها ، لانه وليد النعمة المنوعة ، وهو ابن الانجيل الذي لا يقيّد ، وهو صديق المسيح مشتهى الجميع .

واذا كان قد مضى على انتقاله من هذه الدنيا عام او بعض عام ، فلنا وطيد الامل ، ان يعود صديقنا الى عالمنا مرة أخرى، عن طريق هذا الكتاب فيعيد الى ذاكرتنا بعض كلماته ، ويسمعنا بعض المقاطع التي كانت قد ألفتها اذاننا فحرمتها ، فيبلغنا الرسالة التي لم يمهله الاجل ليؤديها على أكمل وجه

ولسنا نأسف على شيء أسفنا على عجز المداد الاسود والقرطاس الابيض عن ان يقوما مقام شخصه العزيز. ولكننا من بين السطور التي تركها نستطيع ان نلمح بعض ملامحه ، وان نلمس روحه القوية التي لا تقيدها المادة ، ولا تحجبها عنا حُجب الموت . وقد انطوى هذا الكتاب على لمحة من حياته بقلم شقيقه المفضال . وكلمة اخرى بقلم شريكة حياته ـ ينطبق عليها الوصف الذي قيل في غيرها : «لوعة سالت على دمع جمد» . وبعض ما قيل فيه من اصدقائه ومريديه . لكن جوهر الكتاب حوى « ما كتب هو وما قال» ولن اغفل النصيب الكبير الذي قام به جناب القس لبيب مشرقي في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود

ابراهيم سعيد

كلمة تاريخية

لشقيقه الدكتور ملهم عطية سوريال

« لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح »

يمكن القول أن هذه الآية كانت شعار شقيقي الراحل ، فلم يكن له مطمع في الحياة أعظم من أن يعيش لمجد سيده .

لقد طلب مني أن أدوّن بعض الذكريات الخاصة به فترددت في كتابتها لئلا يظن أني أغالي في مدحه فضلاً عن أن بعض هذه الذكريات ترتبط بشئون أسرتنا الخاصة . على أني رأيت من المناسب أن أكتب بعضاً من هذه الذكريات إذ من المحتمل أنها تفيد بعض الذين يريدون أن يسلكوا الطريق الذي سلكه هو .

كما أن بعض هذه الذكريات لايعرفها ، أو لايتذكرها أحد غيري ، وعدم تدوينها قد يؤدي إلى ضياعها ، لأنه من المؤكد أننا سوف نلحق به طال الزمان أو قصر . كما أن تدوينها يحفظها من التشويه . ومن المحتمل أن أكون مخطئاً خطأ طفيفاً في التواريخ لأني اعتمدت على الذاكرة .

حياته كطالب :

ولد شقيقي زكى في مدينة أسيوط في اليوم العشرين من شهر سبتمبر عام ١٨٩٩ ونشأ في وسط ارثوذكسي محافظ في نفس المدينة ، وتلقى العلم في مدارس حكومية ، فالتحق بمدرسة أسيوط الابتدائية ، ونال منها الشهادة

الابتدائية . و بعد ذلك التحق بالمدرسة السعيدية بالجيزة ، ومكث فيها أربع سنوات و بعدها التحق بمدرسة الهندسة الملكية ، ونال منها دبلوم الهندسة (قسم الري) ومن المعروف انه كان أول فرقته في معظم سني دراسته .

كما أنه من المعروف أيضاً أنه كان على جانب عظيم من الذكاء الفطري ، الذي كان يغنيه عن بذل مجهودات كبيرة ، أو وقت طويل في مذاكرة دروسه . فلم يقضِ وقتاً طويلا في السهر شأن غيره من التلاميذ . ولم يكن من التلاميذ المولعين بالألعاب الرياضية . وقد كان على شيء من ضعف الصحة في طفولته ولكنه استرد صحته بعد سن المراهقة فكان سليم الجسم و إن لم يكن قوياً . والذي أذكره انه لم يرسب مرة واحدة في خلال سني دراسته واذكر أنه كان يمتاز بموهبة خاصة وهي حسن الالقاء أو التسميع في اللغتين العربية والانجليزية . وهذه الموهبة جعلت له مكانة خاصة عند ناظر المدرسة السعيدية وهو المرحوم المستر شارمان الانجليزي الأصل . وقد كان رجلاً فاضلاً يشجع دراسة اللغة الانجليزية ويقيم مسابقات فيها من آن إلى آخر ، للمتفوقين فيها ، ويمنحهم الجوائز . فكان شقيقي يفوز بالجائزة الأولى على الدوام . وبهذه المناسبة أروي حادثاً طريفاً . وهو أن شقيقي تعادل مرة مع طالب آخر له خطره لأنه كان نجل وزير وقتئذ (وأصبح بعد ذلك رئيساً للوزراء وما زالت أسرته تلعب دوراً هاماً في تاريخ مصر) . أعني أنهما كانا يتسابقان على الحصول على الجائزة الاولى . فاعاد المستر شارمان الامتحان فتفوق شقيقي على هذا الطالب الخطير ونال الجائزة وهي كتاب انجليزي ثمين مازال محفوظاً في مكتبته .

وقد كان المستر شارمان من المعجبين بالقائه وحسن أدائه للالفاظ الانجليزية . وهذه المعرفة أفادته في ظرف آخر سوف يأتي ذكره . والذي أعرفه أن ذكاءه الفطري ، وأخلاقه ، وتفوقه ، تركت أثراً عميقاً عند أقرانه ، في سني الدراسة بحيث لاينساه واحد منهم .

تجديده وعماده كمسيحي :

تجدد شقيقي بمدينة أسيوط في ٩ أغسطس سنة ١٩١٥ على ما أذكر . وذلك في أثناء تردده على اجتماعات الأخوة البليموث في كنيستهم القديمة وكان ذلك في أثناء العطلة الصيفية . واذكر أننا لاحظنا عليه وقتئذ شغفه بمطالعة الكتاب المقدس والمواظبة على الصلاة ، والتردد على الاجتماعات ، والاهتمام بالمسائل الدينية . وهي أشياء لم نكن نلاحظها عليه من قبل . أعني أن تجديده كان تغييراً فجائياً — وهو الاختبار الذي نسميه نحن المسيحيين بالولادة الجديدة. أعني من نوع الاختبارات التي درسها الفيلسوف الامريكي المشهور وليم جيمس في كتابه المشهور المسمى (مختلف الاختبارات الدينية)[1] ولقد حاول هذا الفيلسوف أن يعللها تعليلاً سيكولوجياً فلم يأت بتعليل يشفي الغليل لأن تعليله من قبيل (وفسر الماء بعد الجهد بالماء) . ومن الطريف أن أذكر أن شقيقي كان يعرف كتاب هذا الفيلسوف معرفة جيدة ، وكان مولعاً بقرائته .

وهنا أذكر أن مدينة أسيوط تمتاز بميزة لم ألاحظها في مدينة أخرى ، وهي روح التسامح بين المذاهب المسيحية المختلفة فيها . فالارثوذكسي مثلا

(1) Varieties of Religious Experience by W. James

لايمتنع عن حضور اجتماعات الكنائس الأخرى . والكنيسة الارثوذكسية لاتمانع في استعمال الكتاب المقدس حسب الترجمة التي وضعها الامريكان وطبعوها في بيروت أعني أن المسيحيين يعتبرون بعضهم بعضاً أخوة . ولايتردد الواحد عن الاستفادة من اختبارات الآخر التابع لمذهب يخالف مذهبه . وهذه من علامات النضوج الروحي ، على ما أعتقد .

ولقد ظل شقيقي يتردد على اجتماعات الأخوة البليموث الى أن عرف جماعة الرسوليين الخمسينيين فانضم الى جماعتهم و بقى مدة وهو يعتقد مثلهم ان معمودية الروح القدس يجب أن يتبعها التكلم بالسنة أعني أن التكلم بالسنة هو العلامة الثابتة لنوال الروح القدس ، على انه لم يحصل على هذا الاختبار وعرف منهم جماعة من المخلصين الذين لم يحصلوا عليه . فتركهم على أنه بقى يحمل لهم كل محبة واحترام الى آخر أيامه .

ومن الذكريات التي لاتنسى انه تعمد بعد ايمانه لأنه اقتنع بوجوب المعمودية بعد التجديد . واعتقد ان التعميد يجب أن يكون بالتغطيس الكامل (على طريقة المعمدانيين) . وكان وقتئذ يتردد على اجتماعات كنيسة الله في شبرا . فطلب من أحد خدامها وهو المستر اوزونيان ان يعمده . فعمده مع آخرين بالتغطيس في ماء جار . (هذا الاختبار يشبه اختبار جورج مولر تماماً لانه تعمد مرة ثانية بهذه الطريقة بعد ايمانه عندما اقتنع بوجوبه) .

ذكرت أن شقيقي تجدد في سن الحداثة اعنى في السن التي يكون فيها الانسان قابلا للتأثرات الدينية . وهذه الاختبارات يعتبرها البعض من قبيل الحماسة الدينية الوقتية التي لاتلبث أن تنطفىء . ومما يؤسف له ان نذكر

ان بعضاً من الذين زعموا انهم نالوا مثل هذا الاختبار ، « قد انكسرت بهم السفينة ، من جهة الايمان » لانهم لم يقووا على مقاومة ملذات الجسد ، أو لان الشكوك العقلية قد ساورتهم ، أو لأن هموم الحياة خنقت ايمانهم الغض ، فاختاروا السير في « الطريق الواسع » ، ولم يقووا على حمل الصليب إلى آخر الطريق . ونعرف بعضاً منهم قد «تصلف فسقط في دينونة ابليس» كما يقول الرسول بولس .

على أن الذي أعرفه عن شقيقي أنه لم ينظر إلى الوراء مرة واحدة ، منذ تجديده . لقد صادفته ساعات مظلمة . ونال نصيبه من هموم الحياة وأحزانها ، وتجارب بها ، ولكنه لم يفشل ولم يفتر . ولقد ساورته الشكوك والصعوبات العقلية ، ولكنها لم تضعف إيمانه . فانه كان على الدوام شاعراً بعمل المسيح في قلبه ، شعوره بوجوده في الحياة الدنيا .

انه تعلم أشياء كثيرة وتعلم أن يترك أشياء أخرى ، شأن المسيحي الذي ينمو في المعرفة ولكن جدة اختباره الاول ، لم تذهب ونضارته لم تذبل ، إلى يوم انتقاله من هذا العالم .

و بهذه المناسبة أذكر أن الكنيسة الرسولية الاولى لم تتعلم بعض الاشياء إلا تدريجياً ، فانها مثلا لم تفهم رسالة المسيح على طبيعتها الروحية إلا تدريجياً . أعني أن العقل قد يكون أبطأ من القلب في إدراك الحقائق (كما يقول باسكال الفيلسوف المسيحي) ومن الذكريات الشيقة التي لا أنساها حماسته الشديدة عقب تجديده . فانى لا أزال أذكر تلك الترانيم الجميلة التي كان يرتلها (من كتاب الاخوة البليموث) ، وما زلت أحفظ

منها وما زلت أذكر حادثاً خاصاً وهو اعتقاده بوجوب حفظ يوم الرب عندما كان في مدرسة السعيدية وذلك عقب تجديده ، فانه امتنع عن الذهاب إلى المدرسة في يوم الاحد ، وامتنع أيضاً في الاحد التالي ، فاستدعاه ناظرها المستر شارمان الذي أشرت اليه ، وسأله عن سبب غيابه ، وكان يرغب في مساعدته لاعجابه بتفوقه في اللغة الانجليزية ، فأجابه بان ضميره غير مستريح لكسر يوم الرب ، فقال له يحسن بك إذا كنت مصراً على هذا الاعتقاد ، أن تلتحق بمدرسة مسيحية ، لانك إذا انقطعت مرتين آخريين ، فان اللوائح تحتم فصلك من المدرسة .

على أنه عاد إلى المدرسة بعد ان استشار بعض المتقدمين من رجال الدين (أحدهم المرحوم الدكتور أندرو وطسن) ، واكتفى بالمواظبة على الاجتماعات المسائية في أيام الآحاد ، وكان قد انقطع عن المدرسة ثلاثة آحاد ، بدون إبداء سبب رسمي ، وكانت العقوبة وقتئذ خصم ١٥ درجة من درجات المواظبة التي يبلغ مجموعها ٣٠ درجة ، فما كان من المستر شارمان إلا أن أمر بشطب العقوبة واعتبار الحادث كأنه لم يكن

اما تاريخ انضمامه الى الكنيسة الانجيلية المشيخية فلست اذكره بالضبط . ولعل كثيرين من حضرات اعضائها يعرفونه. والذي افهمه انه انضم الى هذه الكنيسة لاعتقاده انها اقرب الكنائس الى الكنيسة الاولى الرسولية ، في نظامها ، وطريقة عبادتها ، وبساطة عقيدتها. على انه كان يحترم الكنائس المسيحية الاخرى ، لا سيما الكنيسة الارثوذكسية التي تعمد فيها وعقد زواجه فيها بمعرفة غبطة الانبا مكاريوس البطريرك الحالي .

ولا مانع من أن أذكر حادثاً آخر ، يدل على تمسكه بالمبدأ متى اعتبره صحيحاً ، وهو حادث غير مجرى حياته . وذلك بسبب ايمانه بالشفاء الآلهي . فانه عندما نال شهادة البكالوريا ، كان يعتقد ان المسيحي من حقه أن يطلب من الله شفاء جميع الامراض التي تصيبه ، ومن حقه أن يستغنى عن استشارة الاطباء ، واستخدام الوسائط الطبية والجراحية ، وأن شفاء الجسد مكفول بموت المسيح الفدائي ، والكفارة التي صنعها على الصليب . (على طريقة اتباع كنيسة الله ومذهب الالسنة) و بناء على هذه العقيدة لم يلتحق بكلية الطب مع أن ترتيبه كان متقدماً ، يؤهله لأن يلتحق بهذه الكلية (كان الثاني عشر بين جميع الناجحين في القطر) . وذلك لأنه لم يكن على يقين بأن ممارسة الطب لاتعارض عقيدته الخاصة بالشفاء الآلهي . ففضل الالتحاق بمدرسة الهندسة مع أن مستقبل الطب كان أحسن وأربح بكثير .

أما حياته كموظف ، فان زملاءه في مكتبه أعرف بها مني ، ولكن يكفي أن أذكر أنهم جميعاً لمسوا قوة مبادئه المسيحية فانها كانت شهادة صامتة صادقة ، تدل على عمل المسيح في قلبه . وأنا أعتقد أنها أحسن دليل على أنه يمكن الانسان أن يعيش حياة عملية عادية ، مع تمسكه بالمبادىء المسيحية ، وأحسن دليل على أن المبادىء المسيحية لاتلزم الانسان ان يعتزل العالم أو يزهد فيه

شيء عن كتاباته ودراساته :

لقد كان شقيقي مولعاً بدراسة الكتاب المقدس ، درساً منظماً ، وكان ملماً بنصوصه الماماً نادراً يحسده عليه رجال الدين . وكان مولعاً باقتناء التفاسير

الموضوعة باللغة الانكليزية ، ومكتبته تحوي أحسن التفاسير وأشهرها . كما انه كان مولعاً بمطالعة سير مشاهير الوعاظ والانتعشيين مثل سبرجن ومودي وتشارلس فني ، ووسلي وهو يتفيلد وجورج مولر وهدصن تيلور ، وعشرات غيرهم . فانه كان يعرف التفاصيل الدقيقة عن بعض حوادث حياتهم كما أنه قرأ واستوعب معظم مؤلفاتهم . وكان مولعاً بدراسة بعض المؤلفات الكاثوليكية المشهورة مثل كتب توما الكمبيسي، والأخ لورنس ، ومدام جوايون، وغيرهم من متصوفي الكنيسة الكاثوليكية (آخر مقالة نشرت له منقولة عن توما الكمبيسي) . ويمكن القول انه كان يميل إلى المؤلفات التي توافق روحه . اعني أن اختبارات أصحابها تشبه الاختبار الذي حصل عليه هو .

ولقد لاحظ البعض أن أكثر مقالاته وكتبه التي نشرت مترجمة عن كتاب آخرين والذي أعتقده أنه كان يميل إلى الترجمة ليس لضعف الابتكار عنده ، ولكن من قبيل التواضع . فلم يكن يهمه أن يظهر شخصيته ، ولكن كان يهمه أن يشرك غيره في نعمة الاختبار الذي حصل عليه . ولذلك فانه لم ير غضاضة في نقل عبارات غيره من المؤمنين ، مادامت تؤدي إلى الغرض الذي ينشده بأقصر الطرق .

ومع أن كتاباته كانت بسيطة ، وخالية من التعرض للمسائل اللاهوتية والفلسفية العويصة ، إلا أنه كان لايجهل هذه المسائل . فانا أعرف أنه كان يفهم كثيراً من هذه المعضلات . وكثيراً مارأيته يطالع أحدث المؤلفات الخاصة بعلم النفس ، وعلم الاجتماع . ولقد كان ذكاؤه الفطري يساعده على تفهم هذه

المسائل ومناقشتها ، كما أنه لم يكن عاجزاً عن بحث المسائل الفلسفية ، واللاهوتية ، وكان يساعده على هذا اتقانه اللغتين الانكليزية والفرنسية . ولولا تجرده من نفخة العلم ، لكانت بحوثه وكتاباته قد اتخذت شكلا آخر .

ولقد كان سريعاً الى ملاحظة نقط الضعف في مؤلفات غيره بدون أن يتخذ من هذا وسيلة إلى إظهار ذاته . فكثيراً ما كان يرشدني بلطف إلى نواحي الضعف في بعض كتاباتي ، بعد أن يقرأها مرة واحدة في بضع دقائق.

تلك هي بعض الذكريات عن شقيقي الراحل ، وهي ان دلت على شيء فانها تدل على أن اختباره الروحي ، كان من نوع الاختبارات التي يحدثنا عنها الكتاب المقدس .

دمعة وفاء

لشريكة حياته

باي لسان اتكلم وكيف ابدأ حديثي في وصف فقيدي بل فقيد كل من عرفه . فان كان لاصدقائه وزملائه ومعاشريه حق في رثائه ومجال في تأبينه فانا أحرى الناس بمعرفة حقيقة حياته وأقربهم دراية بجليل صفاته .

كان زوجاً يحرص كل الحرص على هناء زوجته ويبحث على بواعث اسعادها بكل جهده فلا يترك فرصة من فرص خلوه من الاعمال الا ويسرع الى البيت وملء محياه البشاشة والبشر وملء قلبه عواطف الزوج المسيحي المملوء حناناً مقدساً وشفقة سماوية . يحوطني بكل اسباب السرور فكنت أرى فيه الزوج والاخ والوالد . لا اذكر مرة انه قصر او نسى ان يقوم بامر سألته ان يقوم به واذا ما سألته عن سر ذلك أجابني بوداعته التي لم تفارقه مرة : كيف لا اقدس طلباتك وهذا عهد مقدس أخذته [redacted] امام الله بل انني اعتبر مسيحيتي ناقصة اذا انا تغافلت أو اهملت القيام بها

كان يستشيرني في كل ما يعمل ويقول، ويطلعني على كل نواياه وافكاره، ويحب ان اشترك معه في تدبير أمور الحياة شأن الرجل الديمقراطي الصحيح الذي يحترم نفسية زوجته ، ويجعلها في مستوى واحد معه . فلم اشعر مرة انه جرح احساسي بكلمة بل كثيراً ما كان يأتي معتذرا عن هفوة لم اعتبرها انا هفوة على الاطلاق

كان محباً للبيت يصرف كل اوقات فراغه فيه. وعند ما يحل في البيت يسوده سلام عميق وتغمره البهجة والحبور .

كان يتفانى في حب اولاده و يشعر تمام الشعور انهم وديعة بل هبة من المولى . عليه ان يعتني بها . فكثيراً ما كان يبحث عن احدث الطرق لتنشئتهم نشأة سليمة ، صحياً وعقلياً وروحياً . ولطالما جلس اليهم وحدثهم بلغتهم ليولد فيهم قوة الملاحظة والانتباه ، ودقة الاحساس والشعور وما رأيته تذمر من أسئلتهم الكثير . بل كان يجيب عليها كلها ، وعلى وجهه مسحة من الارتياح والغبطة . مراراً كثيرة كان يأتي الي طالباً مني ان ارسل الخادمة لتقوم بعمل من اعمال المنزل ليتسنى له فرصة ، يتولى فيها امر العناية بطفلته . كان يصحب ابنتنا الكبرى معه الى اي مكان يسمح لها بالذهاب اليه ، لكي يلفت نظرها الى كثير من الاشياء التي يعتقد انها نافعة لها ، وتوسع مداركها . فلا شك انها بفقده خسرت بل خسرنا كلنا خسارة لا تعوض . كان صديقاً للصغار فكم أحبوه ، وأحبهم وشاركهم العابهم ، واصغى بطول اناة الى كل اقاصيصهم فلا غرابة اذا اجمع الصغار كما اجمع الكبار على حبه .

كان يعتبر سر سعادتنا المحافظة على الاستمرار في الصلاة وجعل مذبح الرب العائلي عامراً بذبائح الحمد الدائم . لم تقتصر الصلاة العائلية على الصلاة فحسب ، بل كان لزاماً علينا ان نحفظ عدداً من الفصل الذي نقرأه يومياً . لما كبرت ابنتنا الكبرى لم يكن في طاقتها ان تقرأ باللغة العربية معنا ، فكانت تجلس وتشترك في الصلاة ، وحفظ العدد ، و بعد ذلك كان هو يقرأ معها ما قرأناه باللغة الانجليزية ، لانه اراد بذلك ، ان يربى فيها حب مطالعة

الكتاب كل يوم ، والحمد لله فقد اثمرت تعاليمه ، فما زلنا نقوم بها كما عودنا وان كنا حرمنا وجوده معنا ، ولكن لا شك انه يشترك معنا وهو في امجاده السماوية .

وماذا اقول عن اوقات خلوته بسيده الذي أحبه الى المنتهى . كانت الذ الاوقات هي التي يخلو فيها بربه في الصباح الباكر جداً ، والكل نيام ، والطبيعة ساكتة صامتة ، والهدوء التام يشمل المدينة . كان يقضي في هذه الخلوة وقتاً طيباً ، وبعدها يعود الى فراشه ، وينام الى الصباح . لم يؤخره برد الشتاء ، أو أي عائق آخر عن ان يترك فراشه ليختلي بربه

حقاً كان كلام الرب سراجاً وهاجاً لخطواته واعماله وافكاره ، بل لذته التي تفوق كل لذة. كم من الساعات صرفها في الصلاة مع الكثيرين ، وحاول المرات العديدة ان يخصص بيته للصلاة ، والذين اشتركوا معه يعرفون ذلك وكيف كانت لذته التي لا تعدلها لذة التحدث الى الله عن طريق الصلاة .

كان من طبعه ان يرحب بزائريه ، واي ترحاب . وكان يجتهد ان يشعر كل من دخل بيته ، أنه احد افراده . ولا داعي لان اذكر حبه واجلاله لخدام الدين ، فكم احبهم واحترمهم ، وساعدهم بقدر طاقته .

كان يتقد غيرة على الكنيسة ، ويريد ان يراها عاموداً قوياً في عالم أعوج ملتو كان يقدس نصيب الرب من كل دخله المالى ، ولو كان احياناً في اشد الحاجة الماسة اليه . لم يكن يعتبر ان الذهاب الى حفلة خيرية لتناول المرطبات وغيرها او شراء اشياء في الاسواق الخيرية ، من اعمال البر والاحسان ، ولم يحسب المال الذي ينفق منها من العشور ، وكثيراً ما قال لي

أننا انما نذهب الى الاسواق الخيرية لنلذذ أنفسنا ، ثم ندفع عشور الرب ثمناً لذلك . كان لا يخفى عنى صغيرة او كبيرة الا في مسألة توزيع عشوره ، فكنت لا اعرف عنها الا القليل . وكأنه أراد بذلك ان يتبع قول السيد « اما انت فمتى صنعت صدقة ، فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك »

أما شفقته على المحتاجين ومواساته لهم فارانى عاجزة عن التحدث عنها بما يكشف القناع عن حقيقتها فلا شك انه من الذين نالوا عن جدارة واستحقاق ترحيب السيد: « تعالوا يامباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم »

ومع انه كان رجل الله الا انه كان انيقاً في هندامه يحافظ على نظافتها ويعتبر ان الانسان الذي خلق على صورة الله يجب ان يكون شعاره النظافة فكم مرة ذكر انه ابن ملك الملوك ، وابن الملك لا يجوز ولا يليق به ، ان يتهاون في هندامه .

كان رجل الاطلاع والبحث وكان اهتمامه باقتناء الكتب كاهتمامه باولاده، الذين احبهم كنفسه، فلم يسمع عن كتاب نافع الا واقتناه مهما غلا ثمنه، لانه كان يعتقد انه خلاصة عقول هؤلاء الكتاب العظام ، التي دونوها في الكتب ، فلم يستكثر المال في سبيل الحصول عليها وقد حوت مكتبته كل ما ندر من الكتب القيمة والنافعة . ولم يحصر اطلاعه على نوع واحد من الكتب . كان حبه الزائد ولا شك للكتب الدينية، ولكنه اطلع ايضاً على الكثير والكثير جداً من كتب الادب والفلسفة ، وغيرها علاوة على الكتب العلمية التي كانت تختص بعمله .

وكما اشترى الكتب لنفسه اشترى الكثير منها لابنتنا، التي صارت لها

مكتبة لا بأس بها تحوي كتباً نافعة ومفيدة . لانه اراد ان يربي فيه من الطفولة الولع بالكتب النافعة المفيدة. و بالاجمال فقد كانت الكتب محبو بة لديه من بعد حبه لاولاده ومكرساً نفسه لمطالعتها من بعد تكريسه ذاته لله .

كان هادي الطبع لا اذكر مرة انه جرح شعور احد ، حتى ولو صدر منهم ما يجرح شعوره . كان يملك طبعه ، وفي الوقت المناسب يذكر بلطف لمن اساء اليه هفوته التي صدرت منـه بطريقة لا يشعر بها ذلك المسيء ، وغرضه من ذلك ان يسمو بهذا الشخص حتى لا يتعود على التهاون في جرح شعور احد . كان مثال الدعة في حديثه ومعاملته ، وانني مهما غاليت في ذلك فلست بقادرة ان افيه حقه من التعبير عن دماثة اخلاقه ورقة شعوره .

كان فكها في حديثه ، فقد كان له الكثير من الفكاهات ولكنه كان يحرص على ان كل كلمة تخرج من فمه يجب ان تكون مقدسة . فما من مرة ذكر عبارة بذيئة ، او ضحك اعجاباً لمن فاه بها

كان يميل كل الميل الى الموسيقى ، وقد ساعد على ترجمة كتب ترنيمات روحية تستعمل الآن في بعض الكنائس

و بالاجمال فقد كان رجل البيت بل رجل الله !!

الكتاب الخالد

كلمة القس لبيب مشرقي

قالوا إنهم سيضعون كتابا يسجلون فيه ، على قدر ما تستطيع أقلامهم الضعيفة أن تسجل ، مفاخر زكى عطية سوريال . وبذلك يوفون للرجل جزءاً من دينه الذي يقيد أعناقهم ، ويعبرون للتاريخ عن شكرهم للرجل الذي كانت يده طائلة على التاريخ ، وبالتالي يخلدون ذكرى الرجل الذي يرون أن الموت قد عدا عليه وهو يحاول أن يلاشي ذكراه !!

ولقد أحسنوا ولو أنهم لم ينصفوا !!!

أحسنوا ، لأن العرفان بالجميل ، خصوصاً نحو رجل طوق جميله الالوف ، حسن في ذاته وفي معناه .

ولان سجل خدمة العاملين على صفحة التاريخ تتطلب لاصوت نفس العمل فقط ولكن اثاره بين المخدومين وصداه !

ولم ينصفوا لأن الرجل الذي يريدون تخليد ذكراه أعظم من أداة تخليده وشخصيته المليئة بالحياة أبقى من تمثاله !

وبأي شيء يخلدون ذكره ؟

بكتاب !؟!

نعم إن في الكتاب حياة . ان الذين يخلدون ذكرى أبطالهم بتماثيل الحجر أو النحاس يقدمون أداة ميتة للتعبير عن الحياة . ومهما قالوا ان في

تصوير الحجر أو النحاس من المعاني الحية ماتليق للتعبير عن الحياة . فانها حياة ميتة

أما الكتاب ففيه حياة !!

لكن هل يستطيع كتاب ان يقدم لنا حياة زكي عطيه سوريال ؟

انه مهما بلغ من عظمة اتساع الكتاب فانه لن يستطيع ان يحيط بتلك الحياة العميقة العظيمة الاتساع . انه لا يستطيع ان يصورها اللهم إلا صورة جانبية جزئية . انه لا يستطيع ان يصل الى اعماقها والى ابعادها الاخرى

على ان هناك سفراً جليلاً يستطيع ان يحيط بتلك الحياة العظيمة !

وذلك السفر هو زكى عطية سوريال نفسه !!

زكي عطيه سوريال كتاب كبير !!

وزكي عطيه سوريال كتاب خالد!!

وكيف لا يكون خالداً وهو يحمل الخلود في روحه ورب الخلود في قلبه ؟!

ستبلى جدة الكتاب المطبوع يوماً . اما حياة زكي فلن تبلى جدتها !! وسيتقادم العهد على الاوراق التي تتضمن حوادث ايامه واحاديثه، اما صفحات التاريخ التي تحمل آثار خدمة « زكي » فستظل الى ابد الدهر زاهية !!

اجلس الى ذلك الكتاب واقرأ :

اقرأ رسالة النفس التي ذاقت حلاوة الميلاد الثاني بالايمان بالمسيح !

اقرأ رسالة النفس التي اختبرت الخلاص المجاني بالنعمة !!

اقرأ رسالة النفس المفدية في سلامها الكامل !!

اقرأ رسالة الحياة الممتلئة بالمسيح ،في الكنيسة ومع المؤمنين وفي البيت مع الزوجة ومع الاولاد !!

اقرأ رسالة النفس التي ذاقت حلاوة التأملات الروحية فدونت مئات الاختبارات التي تتألق في سماء الكنيسة جواهر ثمينة لامعة !!

اقرأ رسالة النفس المكرسة وما يمكن أن تثمره في أوسع دائرة .

انك إذا جلست الى ذلك « السفر » لن تفرغ من دراستك . ولن يوجد القلم الذي يستطيع أن يدون مدى تأثراتك !

قال المسيح « حيثما يكرز بالانجيل يخبر أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها » لأن تلك المرأة قدمت المسيح لاعملا جامداً ميتاً بل عملا مملوءاً بالحياة مملوءاً بالمحبة

كذلك فعل « زكى »

وسيظل لي زكى عطية سوريال سفراً !

وسأوالي درسه في تأملاتي الروحية !!

وسأشكر الله من أجل حياة المسيح فيه ومن أجل حياته في المسيح ! !

وإلى اللقاء أيها الحبيب

اغسطس سنة ١٩٤٤.

صديقك الى الابد

ابيب مشرقى

كلمة

الايغومانس ابراهيم لوقا

في

صيغة رسالة موجهة الى قرينته الفاضلة

الى السيدة الفاضلة مدام زكي عطيه سوريال

السلام لك والنعمة من الله ابينا ومن ربنا يسوع المسيح .

لقد كانت صدمة قوية لنفسي عندما بلغني نبأ انتقال صديقي الفاضل المرحوم زوجك . ولست احاول ان اقلل من شأن هـذه الصدمة فانا لا استطيع ان أنكر مبلغ تأثير هذه التجربة في نفسك وقد كنت وهو مثلا أعلى للرابطة الزوجية والمحبة المقدسة المتبادلة . ولـكني أعلم ايضاً انك سيدة مسيحية مؤمنة ولذلك فاني واثق من ان ايمانك المسيحي سيكون لك عونا قويا على احتمال هذه التجربة — فايمانك المسيحي سيأتي بك الى عرش الرحمة والعون حيث تجد النفس ينبوعاً للعزاء والسلام القلبي العميق في وقت الشدة والضيق. وقد قال الرسول « لاتهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر — لتعلم طلباتكم لدي الله وسـلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وافكاركم في المسيح يسوع »

فصلي يا أبنتي وصلي وتذكري ان الصلاة كانت هي ملجأ المسيح عندما كانت نفسه حزينة جداً حتى الموت . واراد المسيح ان يعلن لنا انها هي ملجأنا وقت التجربة وطريق العزاء الوحيد لقلوبنا المتألمة « عند كثرة

همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي »

ثم ان إيمانك المسيحي سيشغلك عن اوجاع العالم الحاضر بالامجاد العتيدة ان تستعلن فينا وايماننا المسيحي يؤكد لنا أننا سنلتقي مع الذين سبقونا وسنبقى جميعاً مع الرب كل حين لنتمتع بما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه .

كما ان هذا الايمان عينه يؤكد لنا سعادة الذين رقدوا في الرب وقد عاشوا حياة البر والتقوى التي بلا لوم ولا عثرة أمام الله والناس .

وأظنك من هذه الناحية واثقة مطمئنة فانت تعلمين كيف كانت حياته وكيف عاش عزيزنا الراحل عيشة مسيحية طاهرة نقية .

لقد زاملته سنتين من سني الدراسة حيث كنا هو وانا تلميذين بالمدرسة السعيدية ومنذ عرفته كان اذ ذاك في باكورة شبابه . عرفته شابا مسيحياً نشطا في عبادته حاراً في صلاته طاهراً نقياً في حياته رجلا في هدوءه ورزانته ممدوحاً في جميع نواحي سيرته وتصرفاته .

وقد استمرت صداقتنا بعد انتهاء سني الدراسة وظللت اراه كما رأيته في أيام التلمذة — أميناً لمسيحيته نبيلا في خلقه ثم لمست فيه ناحية جديدة هي ناحية الغيرة والعمل بنشاط في دائرة الخدمة المسيحية

أن عزيزنا الراحل هو الآن أمام منبر المسيح وقد ضم الرب به نجما الى النجوم التي تضيء في ملكوت الله .

فعزاء يا ابنتي والله كل نعمة الذي دعانا الى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعد ان تألمتم يسيرا هو يكملك ويثبتك له المجد الى أبد الدهور آمين .

كلمة

القس برنابا نوس

في سنة ١٩١٧ قادتني العناية الى التعرف بصديقنا الراحل العزيز والمحبوب لديّ جدا وذكراه سوف لن تمحى من قلبي

عرفته مثال الطهر والعفاف :

كنت ازوره في القاهرة في بنسيون في الفجاله وكان في ذلك الوقت طالباً بالمهندسخانة . وكنت استغرب لماذا اغلق باب شرفة غرفته ، فهممت مرة بفتحه . و بعد دقائق قليلة عرفت السبب في اغلاقه ، اذ تهافتت بعض الفتيات المجاورات على القاء زهور وورود ، امام غرفته ، مع أصوات وصفير للفت نظر ذاك الشاب صديقنا . أما هو فما كان يكترث لكل هذه المظاهر وحسبها كأنها لم تكن ، وعلمت انه عاش طاهراً عفيفاً ، كل أيام شبابه في مدينة يكثر فيها الاغراء والفساد كالقاهرة

أي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن (٢ كورنثوس ٦ : ١٥) ؟ زرته في طنطا فوجدته منزويا في منزله ، وكان لايزال غير متزوج ، بينما كانت نخبة من معارفه وزملائه يرسلون وراءه و يدعونه لحضور الحفلات — ولما هممت بتركه حتى لا اعيقه عن قبول دعوة اخوانه ، قال لى بثبات ورباطة جأش لقد وضعت في قلبي ان لا أذهب الى مثل هذه الحفلات مهما يكن الداعي

اليها ويعرف ذلك كل اخواني المهندسين، لان الكتاب يقول « أي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية شركة للنور مع الظلمة »

لم تفلت منه فرصة في خدمة سيده :

كنا معاً في القاهرة في سنة ١٩١٩ أثناء ثورة الاستقلال وكان يذهب بي الى أماكن هادئه في الحدائق على مقربة من حديقة الحيوانات بالجيزة ، وهناك كتب نبذته المشهورة « رسالة من وراء القبر » ، وهذه كانت سبب خلاص الكثيرين ، وهي أقوى رسالة ، وأكثرها انتشاراً في شرق الأردن، اذ حملتها معي وقدمتها لأكبر رجالات في الوزارة الاردنية بعد ان اهديتها لسمو الأمير المعظم عبدالله ابن الملك حسين وشقيق جلالة الملك فيصل الأول وكان لها وقع عظيم في كل البلاد حتى أعيد طبعها بكميات كبيرة من مطبعة النيل المسيحية ، حيث كان يباع منها كل الف نسخه بجنيه واحد . وذلك لكثرة الأقبال عليها ، وكنت أقدمها لكل أرسالية في سوريا وشرق الاردن وفلسطين وكانت عاملا قويا لايجاد نهضة روحية عظيمة في تلك الاقطار الشقيقة ولا يزال تأثيرها وانتشارها عظيمين وذلك منذ فبراير سنة ١٩٢٨ وكتب ايضاً نبذة « سيف القضاء مرهف » ولها ايضاً تأثير عظيم

زيارته لي في فلسطين

كان يسير صديقنا العزيز الراحل في شوارع اورشليم مع زوجته المحترمة وأبنته وداد ، فقدمت له بطاقة دعوة لحضور اجتماعات انتعاشية في احدى الكنائس فحضر دون تردد لما علم انني أحد المتكلمين وكان حضوره مشجعاً

جداً و بعدها تكرم بزيارة منزلي في مدينة رام الله قرب اورشليم ورأى العمل هناك شجعني كثيراً ، وكان لزيارته مع عائلته المحبوبة كل وقع حسن ونبيل ومشجع

تجمعوا صغار النفوس

لما ترجمت كتاب « النهضة التي نحتاج اليها » لم أجد اجدر من صديقنا العزيز لينقحه فتشرفت بكتابته المقدمة بيده ونقحه وقريباً سيظهر في عالم المطبوعات .

زيارتي الاميرة ا مع زوجتي

زرته مع زوجتي وكنا لا نتوقع موته وفراقه المؤلم لنا واستشرته في أمر كان يؤلمني اذ اساء أحدهم الى شعوري وجرحني جرحاً بليغاً ، و بدأت اعدد له مساوئه فدفعني من لدنه مبتسماً كعادته والتفت اليَّ قائلاً : هل يهمك يا برنابا مساوىء الغير . دعنا من هذا فليس من وقت لنا ان نتأمل او نذكر اغلاط الغير . دعنا ننصرف لخدمة الفادي قدر المستطاع في كل وقت ممكن ولما ركعنا للصلاة كان يرى كأنه ملاك بهي وهو يذكر عباراته الجميلة المؤثرة الطبيعية في صلاته لصديقه القديم المحبوب لديه ، يسوع ، ولن انسى ذاك المنظر ، ووقع تلك العبارات على اذني وفي نفسي

لما وقع نظري وأنا في لبنان على نعيه في مجلة رسالة السلام « صديقنا الراحل زكي عطيه سوريال » واعتراني ذهول ولم أقوَ على الحركة ،

وكانت دموعي تسيل عفوا فقالت لي زوجتي :هذه اول مرة اراك تبكي صديقاً مدة العشرين سنة الفائتة

نعم ابكيك يا زكي ولا اعرف صديقاً آخراً أثر فيّ وفي كل اتجاهات حياتي، بحياته الصامة الهادئة نظيرك ايها العزيز زكي ، وها أنا بنشاط اكثر من المعتاد، اؤدي خدمتي للفادي حتى انجز النصيب الذي عينه لي الرب حتى عند اكتماله أسرع اليك بالمجيء لأكمل عشرتي لك ، التي حرمتني منها الغربة في بلاد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن مدة ١٨ سنة

الى اللقاء ايها الحبيب والعزيز لدي

برنابا نوس

كلمة

مجلة « الهدى الغراء »

بقلم القس لبيب مشرقي

زكي عطيه سوريال

روعت الاوساط المسيحية في القاهرة واسيوط بخبر انتقال الشاب المحبوب زكي افندي عطية سوريال وكان الخبر مفاجئاً فكان وقعه شديداً ومؤلماً . وكان الحزن لفقده عميقاً وشاملاً . فعلى قدر قيمة الحياة يكون الالم للحرمان منها . ولقد كانت حياة زكي عطيه سوريال على قصرها حياة كبيرة فلا عجب أن سحت مئات العيون دموعاً محرقة . فليس من السهل تعويض هذه الحياة — و (الهدى) وقد كان الفقيد احد اصدقائها القريبين تحس بوطأة التجربة فتشترك مع المتألمين بدمعة — واذ تسجل هذه الكلمة لا تقصد انها تفي ديناً فان دينها لتلك الحياة الكبيرة عظيم لا يكفي فيه ان تسكب قطرة او قطرتين من الدموع فقد سكب هو حياته قطرة قطرة في سبيل الخدمة العامة . كما انه ليس من قصد «للهدى» ان تصور تلك الحياة . فلقد كانت حياته قصيداً رائعاً تقصر كل بلاغه عن تصويرها ولا يحسب البيان بارزائها إلا كلاماً ضعيفاً اجوف يكفي ان نذكر تلك الحياة فترتسم لك جميلة مشرقة ممتدة بهدوء كصفحة من نور تتصل اتصالاً قريباً الى السماء

على ان الهدى تقدم لاصدقائها صورة من تلك الحياة لا رائية ولا باكية وانما واثقة مطمئنة ، صورة تقصد منها ان تكون نموذجاً للشباب .. وللشيوخ

حياة متصلة بالله

كان صديقنا مؤمناً بالله كل الايمان. وفي عصر الشكوك هذا الذي اعلن كثير من الشباب المتعلم تمرده على الله، وافتخر بهذا التمرد. في هذا العصر. اعلن زكي عطيه سوريال انه يؤمن كل الايمان بالله لا لأنه تلقى ذلك الايمان من والديه أو من كنيسته ولا لأنه قرأ عنه في الكتاب المقدس والكتب الدينية الاخرى. لكن لانه رأى الله وعاش مع الله. وسار زكي مع الله ولم يوجد لان الله نقله ! !

حياة مقسمة في خدمة الله

والحياة المتصلة بالله لا عجب ان امتدت نحو الناس فقد كانت حياة فقيدنا حياة متسعة. لم تكن ضيقة ضيق الانانية ولا ضيق المذهبية لكنه كان متسعاً اتساع المسيحية. كان انجيلياً وكان عضواً عاملاً نشيطاً في كنيسة الفجالة وكان في هذه الكنيسة مثال العضو الامين، ولكنه كان يقدم خدمته لكثير من الكنائس الانجيلية الاخرى، ولكثير من الكنائس غير الانجيلية وكان جمهور المسيحيين الذين عرفوه يقولون انه يخص كل كنيسة وان خدمته لا تقف عند حد ! !

حياة عميقة الى قلب الله

ولعل عجب الكثيرين من سمو تلك الحياة يزول اذا عرفوا انه كان يستمد قوته من حياة التأمل مع الله. لم يكن سطحياً في علاقته بالله ولكنه كان رجل الاعماق. وانك لتلمح اثر تلك التأملات في بعض كتاباته اذ ترى

فيها لا الذي يعيش مع عامة المسيحيين بل الذي عاش قريباً جداً من باب السماء ، أو على الاصح الذي عاش داخل باب السماء ! !

حياة امينة لكنيسة الله

والقس غبريال الضبع يحس اكثر من غيره بمقدار الخسارة لانتقال عضو كنيسته الامين زكي افندي عطيه. فقد كان مواظباً على حضور الاجتماعات مواظبا على القيام بالواجبات ، مستعداً للقيام بكل خدمة مطلوبة ، سخيا لكل مشروع . ومع انه كان في ذروة الشباب فقد كان ناضجاً نضوج الشيوخ . وما أحلى الكلمات التي علق بها جناب القس الضبع على انتقاله إذ ذكر كلمات المسيح (وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم)

ومجلة الهدى — ما أكثر ما جملت صفحاتها بنفثات قلمه — فكانت كلماته جواهر منتقاة وكان القراء يتلقونها بشغف ويطلبون منها المزيد . والذين لم يروا الفقيد في وجهه رأوه في قلمه وكانوا يتشوقون لرؤية تلك الحروف ز . ع . س . التي كان يوقع بها على مقالاته إذ كان يرغب أن يختفي وأن يرى الناس سيده لا هو

وستقوم « الهدى » بجمع مقالاته فيها لتضعها بين دفتي كتاب تحفظه ذكرى لصديقها المحبوب وتقدمه خدمة خالدة للنفس التي كرست حياتها كلها للمسيح

و بعد فان « الهدى » تشترك مع الكنيسة ومع العائلة ومع الاصدقاء في الالم لهذه التجربة وتطلب من الله ان يسكب تعزيته على قلوب الجميع

كلمة «رسالة السلام»

بقلم

القس ابراهيم سعيد

(ظهرت في مجله « رسالة السلام » شهر سبتمبر ١٩٤٣)

تعودنا أن نتوج كل مقال ، بآية من كتاب الله . لكننا اخترنا اليوم تاجا لهذا المقال ، آية بين رجال الله — الاخ العزيز زكى عطية سوريال

قد اجتمعت فيه صفات نادرة قلَّ أن اجتمع مثلها في فرد من الرجال مثلما اجتمعت فيه بطريقة متوازنة متماثلة . فلم تتضخم إحداها على حساب الأخرى، ولم تتقلص إحداها في ظلال الأخرى. بل كان كحجر من الالماس الكريم ، له جوانب عدة ، انَّى قلبته وجدت في كل جانب منه جمالاً رائعاً ونوراً خلاباً . فقد التقت فيه الوداعة بغير ضعف ، وعزة النفس بغير صلف أو عنف . واجتمعت فيه التقوى بالعلم والرزانة ، وانسجمت فيه المواهب الطبيعية بهبات النعمة السماوية . فقد وهبه الله اسماً عاطراً زكياً ، وقلباً طهوراً تقياً ، وذهناً صافياً المعياً ، وخلقاً رضياً ، ولساناً عفاً نقياً

قد يحار القلم إذا طلب اليه أن يكتب عن شخص سواه ، إذ يرى مجال الكتابة أمامه ضيقاً ، فلا يدري ماذا يكتب ! ولكنه إذ يحاول أن يكتب عن زكي تدركه حيرة — ولكن من طراز آخر . إذ يرى المجال أمامه متسعاً، فلا يدري ماذا يؤخر وماذا يقدم . لانه يرى نفسه أمام بحر زاخر باللآلىء

الدرية التي يمسك بعضها برقاب بعض، وكنز من الجواهر الثمينة يتراكم بعضها فوق بعض ، وجبل اشم من الهمم العالية والفضائل النبيلة ، كل قمة منهـا تدعو الى قمة امنع ، وكل مجد فيه يشير الى مجد أرفع ؟ !

أيحاول القلم أن يرثي زكي الطالب المتفوق الذي كان أبان التلمذة مثال النبوغ والعبقرية ؟ أم زكي المهندس الذي كان في عمله مثال المقدرة والدقة والنزاهة ؟ أم زكي الصديق المخلص الودود ؟ أم زكي الزوج الامين الوفي ؟ أم زكي الوالد البار العطوف ؟ ام زكي الواعظ الوديع الهادي الذي تنفذ كلماته الى القلوب كما تنفذ أشعة النور في قلب الظلام ؟ أم زكي الكاتب المجيد الالمعي الذي كرس قلمه لمدح مجد ربه وفاديه ؟ أم زكي نابغة الشرق المختفي ؟ أم زكي الرجل العف التقي النادر المثـال في هذا العصر ، الذي قلما يجود الدهر بمثله ، « ان الزمان بمثله لبخيل » ؟!

أيكتب القلم عن واحد من هؤلاء ، أم يحاول أن يكتب عن خسارتنا في فقد هؤلاء أجمعين ؟ !

نعم خسرنا أشخاصاً كثيرين بفقد هذا الرجل الأوحد ، ولـكن هل خسرناه حقاً ؟ كلا ! فالموت لك ربح يازكي لأن المسيح كان جوهر حياتك، وتاج حياتك ، و باعث حياتك ، وحياة حياتك . وكذلك موتك ربح لنا . فلئن فقدنا فيك زكى الطالب وزكى المهندس وزكي الزوج والوالد ، فقد كسبنا فيك زكي القديس الذي يظل واعظاً إيانا بحياته ، وزكي الـكاتب الذي أنار موته ماخفى من كلماته ، وزكي الصديق الذي يشرف علينا من عالم الخلود نحن الزاحفين على بطوننا والمتخبطين بعقولنا في ظلمة هذا الوجود

لأن الموت كشف عن كنوز دفينة كان قد سترها عنا تواضعه في حياته . فلئن كسر المصباح فالنور مازال يشع ويسطع . ولئن تكسرت القارورة ، فان عُرف طيبها يعطر الارجاء . ولئن تحطمت القيثارة ، فان أنشودتها العذبة تهز أوتار القلوب . وبعد أن تحطمت قضبان القفص ، انطلق الطائر الملائكي يردد لحن أنغام السماء ، فيرتد صداها إلى الارض ، فيحيي فينا موات القلوب والارواح .

فأنت حي بينا بحياتك وسيرتك ورسائلك . فكتبك أولادك ، وعظاتك بناتك ، وسيرتك العاطرة عمرك الدائم المخلد

* * *

يا أخي زكي !

ان هذا القلم يتألم وهو يحاول أن يسطر على القرطاس وصف بعض صفاتك ، مخافة أن تغضبك هذه الكلمات مثلما كانت تغضبك الكلمات القليلة التي كان يحاول أن يعرِّف بها شخصك لقارئي هذه المجلة، زهداً منك في حب الظهور ، وامعاناً في طلب الاختفاء

وكأنك لهذا السبب عينه قد اخترت في حياتك جسداً رقيقا هزيلا لكي لا تظهر للناس . ولهذا السبب عينه مرضت ذلك المرض القصير الذي خفي سره عن نطس الاطباء ، وخفي خبره عن خيرة الاصدقاء ، فعشت كالخيال ، ورقدت كالظل ، وانطلقت كالسهم . ولهذا السبب عينه اخترت ساعة في نهاية الليل وقبل شروق شمس — أبّان السحر ، فانطلقت فيها الى عالم الخلد ، والبشر نيام ، فصعدت نفسك إلى فاديها في وقت قيام ربك

وفديك « عند شق الفجر باكر » ، لكي لايشعر بانتقالك أحد !

ان أظهر شيء فيك هو أن كل فضائلك كانت تشع منك اشعاعاً بغير عناء ولا تكلف . كما يشع النور طبيعياً من الشمس ، وكما ينشر طيب عرف الزهر . فقلمك كان يسيل على القرطاس بغير تصنع ، ووداعتك كانت تفيض منك طوعاً واختياراً . وتقواك كانت تنبعث منك عفواً وسماحة .

قد نحب الدين نحن رجال الدين ، لان الوعظ مهنتنا ، والدين صناعتنا ، أما أنت يازكي فقد أحببت الدين لانك لم تستطع أن تحب سواه ، واعتنقت الوداعة كما اعتنقها فرانسيس الاسيسي ، لانك لم تستطع أن تعيش بعيداً عنها . وكان لسانك يجري بحديث القداسة والنقاوة لان هذه كانت عصارة حياتك التي اكتسبتها من المسيح ، فما لبثت أن أضحت فيك طبعاً ثانياً

قد ميز الله كثيرين من شباب ورجال بيئتك بهبات طبيعية جليلة ، فأغدق على بعضهم هبات النبوغ والعبقرية ، وأفاض على البعض الآخر سيلا من الغنى والجاه ، لكنه خصك يازكي بما هو فوق النبوغ والعبقرية إذ توجك بتاج النعمة ، فكنت في بيئتك ملكا ممتازاً — ملكاً للفضائل النادرة ملكاً في القداسة ومكارم الاخلاق ، لان الله مسحك فوق الهبات الطبيعية بمسحة النعمة الالهية ، فسخرت هبات الارض لخدمة السماء

أما حسناتك الكثيرة المستورة ، فقد كان شعارك فيها : « ان فعل الخير جميل . وأجمل منه ستره »

وان نسى هذا القلم ، فلن ينسى توجيهاتك الطيبة الوديعة له . حين كنت تراه يشط أحياناً الى عالم الخيال ، أو ينحرف آونة في موضوعاته إلى جانب

الادب أو الاجتماع ، وكنت تقول باستمرار : ان خدمة فريدا بحاجة الى كل لسان وكل قلم ، فلنترك الادب والاجتماع لمحترفي الادب والاجتماع !

لم تكن عضواً في كنيستي ، لكنك كنت فيها من اقوى الاعمدة . ولم تقف واعظاً يوماً على منبري ، لكنك طالما وعظتنا عظات بالغت بحياتك وشخصك وسيرتك . ولم تكن من أعضاء لجنة تحرير هذه المجلة ، لكنك واليتها بمقالاتك الممتعة ، وأخذت بيدها فمددتها بمالك فوق ما كنت تمدها به من عذب مقالك

كنتَ اميناً لكنيستك ، مواظباً على اجتماعاتها ، لكنك لم تكن وقفاً على كنيسة معينة ، ولم يدركك مرض المذهبية الحادة . لانك كنت رجل الله

لو كنتَ في الكنيسة الغربية الأثرية لرفعتك الى مراتب القديسين فيها ، ولو بقيت متبتلا في الكنيسة الشرقية التاريخية ، لرشحتك مواهبك الى أرفع المناصب فيها

فاذا حاولت أنا أن أخفف وقع مصيبتك على غيري فأنا في مقدمة من يحتاجون من بعدك الى من يخفف عنهم وقع فاجعتك . فخسارتي فيك عظيمة لا يعوضني عنها سوى يقيني أنك « مع المسيح . ذاك أفضل لك جداً » ، وثقتي بأن الله فضل صالحك على صوالحنا . فقد رآك نضجت قبل الاوان ، فأخذك اليه ، وتركنا نحن نتعثر على الارض في أذيالنا . قد اتممت رسالتك كاملة موفورة وأنت في سن الاربعين ، فهنيئاً لك هذا المجد الباكر يا بكر الرجال ويا ملكاً بين الابطال ، لان من كان مثلك قريباً من حرارة «شمس البر»

نضج قبل أوانه ، واستوى المجد . وكأنك قد أحسست بهذا فقلت قبل رحيلك : « أنا مستعد » ! !

ولعلك لهذا السبب ، قد أصبت في شبابك بالداء الذي لايصاب به الا الشيوخ ، فمن كانت همته عالية كهمتك فلا عجب اذا كان « ضغط » دمه مرتفعاً ، فليس هذا مرضاً بل صحة وعافية . لان من كان هابط الهمة مثلنا ، هبط ضغط دمه مع همته ، ومن كان على الهمة مثلك كان ضغط دمه عالياً . فهنيئاً لك هذا العلو — في الحياة . وفي المرض . وفي الممات . وفي المجد

منذ بضعة أعوام انتقل بك خيالك الخصب الى « ماوراء القبر » فكتبت رسالة من نور ونار عنوانها : « رسالة من وراء القبر » طبعت عشرات المرات فاستخدمها الله في ربح « نفوس » كثيرة فخلعت عليك السماء لقباً ممتازاً جديداً محا لقب الارض الذي تبرعت به لعائلتك في مسقط رأسك العزيز . فشهدنا لك في بيئتك الروحية أنك زكي عطية سوريال رابح « النفوس » لانك أجدت حقاً توقيع أنشودة ربح « النفوس »

والآن وقد أضحيت أنت تلك الرسالة الحية الخالدة الناطقة « من وراء القبر » فهيا أبلغنا رسالتك الجديدة واسمع الباكين عليك ، رسالة العزاء فيك والاقتداء بك ، مثلما اقتديت انت بربك وفاديك — المسيح

كلمة

الاستاذ ابادير بقطر المرندسي

نشرت في « رسالة السلام »

لم أستطع أن أودعك — وأنت على فراش المرض . ولم أستطع أن أشيعك — الى مرقدك الأخير ...

ولكن الزمن الرفيق سمح لي بأن أقف قليلاً إلى جوار العربة التي الحقوها بالقطار . وأودعوها جثمانك لتحمله إلى موطنك الاول — وموطنك الاخير ... ولكن العربة كانت موصدة . وكنت أنظر إليك من خلال قضبان حديدية — شبيهة بقضبان السجون — فلم أستطع أن ألمس نعشك. أو أن أقبله القبلة الاخيرة يا أخي ! يا رفيق صباي !

نظرت اليك من خلال القضبان — فلم أدر أينا كان السجين .. كنت أنا في الفضاء الطليق . وكنت أنت حبيساً في نعش مختوم — داخل عربة موصدة باحكام ... ولكني شعرت — أنا الطليق — بأني سجين ... وبأنك — وأنت في ذلك المكان الضيق المحدود — حر طليق ... وذلك لاني أعرف نفسي وأعرفك — اعرف انني انسان — تراب يمشي على التراب .. وانك ملاك كريم — خلقت كي تحلق وتطير .

لم أستطع أن أبكي عليك . لم تجد عيناي دمعة واحدة أذرفها لاجلك مع أنك تعلم اني أحبك . فأين ذهبت الدموع ؟ ألعلها استحالت أنيناً وحسرات ؟ أم لعلها تراجعت أمام هول الفاجعة ؟ أم تضاءلت أمام قطرات القلب الجريح ؟ ! .

وأحسرتاه ! . كيف عدت عليك يد المنون في غفلة منا ؟ وكيف ذويت في ربيع الحياة ؟ وكيف طرت عنا — وفي عشك أفراخ تمد أيديها اليك ؟

أنت! يا من كنت رسالة حية للناس ، كيف قضيت قبل أن تتم رسالتك. لقد كنت — وأنت بيننا — تنقل الينا لغة السماء — بالعظات . . . وتنقل الى السماء مشاعر الناس — بالصلاة ... فكنت تعيش — وقدمك في الارض — ورأسك في الاعالي . تمشي بين الاشواك . وعيناك تتطلعان نحو النور . فهل وخزتك الآمنا فملتها ؟ أم جذبك النور اليه كالفراشة ؟

يازكي . .

انني لا أحاول أن أرثيك بل اناجيك . وأنا اكتب كلماتي بينما يطوي بك القطار الارض طيا — وأحس بقلبي يلاحقك . وكيف أكتب — والقلب ضائع — عن صديق ضاع مني . وما اعز الاصدقاء — الاصدقاء الاعزاء — ياصديق الروح

اني امد يدي من بعيد لأودعك — وألوح في الفضاء اليك، فهل تراني ؟ لعلك تبحث عني غداً في موكبك — فلا تجدني ، ولكني سأكون هناك ، سأسير وراءك — سأمشي وراء قلبي فخيالي يتبعك

ان أباديرلن ينساك